د. عُلى المحمد

موقع الرأسمال الثقافي من التفاوت الاجتماعي والحراك الاجتماعي

دراسة ميدانية تحليلية، منطقة القلمون / لبنان الشمالي (أنموذجًا)

ملخص الدراسة:

تناولت هذه الأوراق البحثيّة عرضًا ومعارضةً، لنظرية " بير بورديو" موضوع الرأسمال الثقافي، الذي رأى فيه تكريسًا للتفاوت الاجتماعي وإعاقة للحراك الاجتماعي. فالواقع المعاش لبلدة القلمون (لبنان الشمالي) تؤكد أنه وبالرغم من أهمية الرأسمال الثقافي، إلا أنه لم يشكل عائقًا أمام حراك شبه شامل لأهل هذه البلدة. ولإثبات ذلك تمّ إجراء مقابلات مع بعض كبار السن في البلدة واستبيان تمّ فيه أخذ إجابات لمجموعة من أوائل المعلمين والمعلمات فيها. وأكدت النتائج أن الجهد الشخصي والرأسمال الفكري كانا السبب في حركة هذا المجتمع، وليس الرأسمال الثقافي.

الكلمات المفتاحيّة: الموقع – الرأسمال الثقافي – التفاوت الاجتماعي – الحراك الاجتماعي.

Abstract :

These research papers present and oppose " **Pierre Bourdieu's** " theory related to cultural capital, which he saw as an accumulation of social inequality and an impediment to social mobility. The day_ to _ day reality of the town of Qualamoun (Northen Lebanon) confirms that despite the importance of cultural capital, it didn't form an obstacle to the almost complete movement of the towns people. To prove this, some of the elderly were interviewed and answer to a

questionnaire were taken from a group of the first teachers in the town, both male and female. The results confirmed that intellectual capital and personal effort were the reasons for the movement of this society not cultural capital and what's inherited.

مقدمة:

ورد مفهوم الرأسمال عند الكثير من العلماء من اقتصادين وعلماء اجتماع، ومن أشهرهم "**جورج ريتزر Gorge Ritezr**" الذي أشار في موسوعته النظرية الاجتماعية إلى تبني العلوم الاقتصادية والاجتماعية، لمصطلح "رأس المال" جاء في البداية من لغة التجار، وكانت تعني المواشي والدواب المعدودة بالرأس، حيث كانت هي السلعة التي يتم بواسطتها تقدير وتقييم كل السلع الأخرى, أو ما يطلق عليه العلماء رأس المال الاقتصادي " Economic capital"[1]

إلا أن أفكارًا أخرى بدأت بالظهور وأعطت لمفهوم رأس المال وجهًا آخر قد يكون اجتماعيًا أو بشريًا أو ثقافيًا... عند الكثيرين، أمثال " **ماكس فيبر**" و" **إميل دركايم**" ... إلا أننا وفي هذه الأوراق البحثية سنتوقف مع أول من صاغ مفهوم رأس المال الثقافي Culture capital، وهو العالم الفرنسي " **بيير بورديو Pierre Bordieu** " الذي رأى أن الرأسمال الثقافي هو الرأسمال الذي يحوي الرموز والمهارات والقدرات الثقافية واللغوية، والتي تمثل الثقافة السائدة التي يُعاد إنتاجها من خلال العملية التربوية، أي هو رأسمال يكرس التفاوت ويخفف من الحراك داخل المجتمع. فالنظام التعليمي الذي يدعم امتلاك هذا النمط من الرأسمال يجعل من الصعوبة بمكان على معظم أفراد الطبقة الدنيا النجاح في هذا النظام والحراك فيه[2]

وفي كتاب **بورديو**" إعادة الانتاج الثقافي وإعادة الانتاج الاجتماعي" الصادر عام (1973) أكد على أن الآباء في أسر الطبقة الوسطى يزوّدون أبناءهم برأسمال ثقافي يتمثّل في كفاءات لغوية وثقافية متنوعة، على عكس الآباء في أسر من الطبقة الدنيا. مما يجعل من عمليات التقويم الدراسي التي تبدو محايدة في الظاهر عمليات تعمل، وبشكل غير واضح، على إضفاء مشروعية اللآمساواة وتكريس التفاوت الاجتماعي في النجاح الدراسي، وإعاقة حراك الأفراد من الطبقات الفقيرة، واستحالة انتقالهم من مستواهم المتدني إلى مستوى أعلى. فالأصل الاجتماعي من وجهة نظر "**بيير بورديو**" هو الذي يتحكم في النجاح المدرسي والرقي الاجتماعي.

.....

(1) **George Ritezr**, Emcyclopdia of social theory, vol,1, saye publication London, 2005,p75

(2) **أشرف عبد الوهاب** . 1999: ص 99

من هنا وانطلاقًا من مبدأ عام هو عدم التسليم بشكل مطلق بأية نظرية، خاصةً إذا كانت نظرية اجتماعية، بسبب الاختلافات البنيوية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكل مجتمع وانطلاقًا من واقع معاش في البلدة التي أنتمي إليها(القلمون\ لبنان الشمالي) واقعًا يناقد نظرية "**بيير بورديو**" أتت هذه الأوراق البحثية لتثبت أنه بالإمكان القيام بحراك اجتماعي مجتمعي، من دون الاعتماد على الرأسمال الثقافي الأسري الموروث.

لذا انطلقت هذه الدراسة من سؤال رئيس هو الآتي:

ما مدى تأثير الرأسمال الثقافي على التفاوت الاجتماعي وعلى الحراك الاجتماعي؟

وأتت الفرضية لتؤكد الآتي: وجود علاقة وتأثير من الرأسمال الثقافي على التفاوت الاجتماعي مع عدم وقوف ذلك بوجه الحراك الاجتماعي، أي أن الحراك الاجتماعي قائم حتى بغياب الرأسمال الثقافي. وهذه الفرضية انطلقت من واقع سكان منطقة القلمون الذين قاموا بحراك اجتماعي. فمن قرية زراعية لا يعرف أغلب سكانها القراءة والكتابة، إلى بلدة لايكاد يوجد فيها أُميّ، ولا يكاد يخلو فيها منزل من طبيب أومهندس أو موظف أو أستاذ.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحراك أسهم التعليم بدفعه، وما ترافق مع التعليم من مهن شكلت دافعًا للترقي المجتمعي ولتجديد مسيرة حراكه الاجتماعي، الذي أضفى تغيرًا عميقًا وظاهريًا، لامس الشخصية القاعدية في ذلك المجتمع، الذي بُني على رأسمال بشري وقدرات فكرية ودوافع علمية تعليميّة وتعلّميّة.

وانطلاقًا مما تقدّم ستأتي هذه الأوراق موزعة على المحاور الآتية، وذلك بعد شرح التقنية والمنهج المعتمد وشرح المصطلحات:

- المحور الأول: الرأسمال الثقافي والتفاوت الاجتماعي.
- المحور الثاني: التعليم والحراك الاجتماعي.
- المحور الثالث: بلدة القلمون، موقعها وصور من الماضي والحاضر.
- المحور الرابع: الدراسة الميدانية ونتائجها.
- الخلاصة.

التقنية والمنهج المعتمد:

تم اعتماد تقنية المقابلة مع مسؤولين وكبار السن ومشايخ البلدة، للتعرّف على تاريخ البلدة كما تم اعتماد استمارة وزّعت على الرعيل الأول من معلمي ومعلمات البلدة، وقد حوت كل استمارة على (36) سؤالًا، تم التركيز فيها على واقع البلدة التعليمي، والذي يعود لأكثر من سبعين عامًا، وذلك للوقوف على كل أبعاده من صعوبات وقبول ورفض لذلك الواقع من قِبلهم وقِبل أسرهم.

هذا على الصعيد التقني، أما على الصعيد المنهجي فقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأكثر ملاءمة لهذه الدراسة.

المصطلحات:

الرأسمال الثقافي: [1] Cultural capital هو تلك المجموعة التي تمثل الثقافة السائدة من لغة ورموز، وفيها تركيز على أشكال المعرفة الثقافية والاستعدادات التي تعبر عن رموز داخلية تعمل على إعداد الفرد للتفاعل والتنافس تبعًا للعلاقات والأحداث الثقافية.

التفاوت الاجتماعي: [2] Social inequality ويُطلق على الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي

تعطي معاملات مختلفة وتميّزًا لأشخاص بينهم اختلاف اجتماعي، ويرتبط التفاوت وتحديدًا الاقتصادي ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا، مع توزيع الدخل الناشئ من رأس المال أو الدخل ويتم من خلال قياس عدم المساواة بين الأفراد الأغنياء والفقراء.

الحراك الاجتماعي: [3] Social mobility أي انتقال الفرد أو المجموعة من الأفراد، من مستوى طبقي إلى مستوى آخر، قد يكون أفقيًا أو عموديًا، من أسفل إلى أعلى، أو من أعلى إلى أسفل.

.....

(1) **عبد الله عبد الرحمن يتيم**. (2011)، بيير بورديو، أنتروبولوجيا، مجلة إضافات، العدد 14.

(1) **عبد الغني اليعقوبي**(بتصرف).(2014). التفاوت الاجتماعي والتفاوت الطبقي 8أغسطس، على موقع واي باك مشين.

(3).Ecluc. Getty.vocab مؤرشف من الأصل (2020-4- 5)

المحور الأول: الرأسمال الثقافي والتفاوت الاجتماعي

1-الرأسمال الثقافي عند بورديو

اشتق "**بورديو**" من الفكر الدوركايمي أهمية الثقافة ومكانتها الرفيعة ومركزها الاجتماعي فهي تمثل قوة الجماعة. من هنا أتى جوهر مفهوم راس المال الثقافي، بإدراك الفرد لعناصر الثقافة والتي يتمثل رأس مالها في ثلاث حالات هي: [1]

الحالة الأولى: والتي تتطلب من الفرد بذل الجهد، من خلال ترتيب وتنظيم العقل والجسد.

الحالة الثانية: وهي الحالة الموضوعية كالبضائع الثقافية(الكتب والقواميس...) وتتمثل في الأشياء المادية.

الحالة الثالثة: وهي الحالة التنظيمية، وهي حالة التكوين العضوي، وهي الحالة التي تفرّق بين رأس المال الخاص بالتعليم الذاتي ورأس المال الثقافي الخاص بالجماعة الحاكمة.

غير أن هذه الحالات تعرضت للكثير من التقيمات، منها تقيم " **لامونت Lamunt** " و"**لاروLareau**" حيث أشارا إلى عدم وضوح الكثير من العبارات والمفاهيم عن رأس المال الثقافي وتضاربها في بعض الأحيان. ورغم هذه الرؤية المختلفة عن بورديو، إلا أن هذا الأخير ركّز في كثير من المحاولات على معالجة مفهوم رأس المال الثقافي.

وقد أظهرت الكثير من الدراسات الميدانية أن مفهوم هذا الرأسمال هو ثقافي، وله قيمة داخل السوق الاجتماعي، ومن خلاله يمكن للفرد أن يحقق التمايز، أو أن يشغل مكانة اجتماعية عالية، بعيدًا عن الخلط بين الرأسمال الثقافي والرأسمال البشري.

إضافة إلى ما تقدم لا بدّ من الإضاءة على مجموعة العناصر التي يمكن من خلالها قياس رأس المال الثقافي، وهي كالآتي:

- مستوى التعليم والألقاب العلمية المعتمدة.
- عدد السنوات التي قضاها الشخص في الدراسة.

.....

Pierre Bordieu, the froms of Capital, op, cit, pp(244-248) (1)

– تردد الشخص على الأنشطة الثقافية والمشاركة فيها. [1]

هذا وقد اعتقد " **بوردو**" أن رأس المال الثقافي هو أداة مرنة وقوية، لفهم العلاقة بين الثقافة والقوة وانعدام التكافؤ في المجتمعات المعاصرة. [2] كما يرى أن عملية تحقيق الفرد لتراكم عالٍ من رأس المال الثقافي منذ الولادة، ويمتد مع امتداد عملية التنشئة الاجتماعية. [3]

2–التفاوت الاجتماعي:

يشير هذا المصطلح، كما ذكرنا، إلى اللامتكافئ للموارد والامتيازات بين مختلف الفئات داخل المجتمع. وخلال فترة ما بين الحربين العالميتين في أوروبا. وقد تجلى التفاوت الاجتماعي بطرقٍ مختلفة، بما في ذلك التفاوت الاقتصادي الناتج عن الحرب العالمية الأولى والصراعات الطبقية وصعود الأيديولوجيات المتطرّفة، والتي وعدت بالتغيير للسكان المحرومين. وقد أدّى هذا

السياق إلى تعزيز التوترات بين الأثرياء والطبقة العاملة، مما أدى إلى اضطرابات وحركات سياسية كبيرة. كما أدى إلى ارتفاع معدلات التضخم والبطالة وزيادة التفاوت الاجتماعي بشكل عام. [4]

ولم يقتصر وجود التفاوت على المجتمع الأوروبي، بل شمل كذلك العديد من البلدان، حيث

أصبح مشكلة تعاني منها أغلب المجتمعات، سواءً أكانت غنية أم فقيرة أم وسطًا، وصار له انعكاس قوي وتأثير سلبي على تقدّم الأفراد والمجتمعات.

هذا ويرى " **جان جاك روسو**" بنظرة فلسفية أن البشر لم يدركوا معنى المساواة، إلا بعد إدراك معنى

.....

(1) **Michel lamont, Ament lareau**, zulturel capital, Allusion cop and Glissandos in Recent theoutical Development gr cit \ 155.

(2) Gorge Ritzer. Enciclopedue of social theory op. cit \170.

(3) **Esther hesui**. Chu parental involvement and student performance. Op. cit p.63.

(4) ap. Euro, httpy \Library Fireable. me.

التفاوت والاكتواء بناره. فإن عدم التفاوت هو عدم المساواة. فإذا كانت الجماعة الطبيعية لم تعرف التفاوت، فإنها لم تعرف المساواة أيضًا، بل إن التفاوت هو ما جعل المساواة مطلبًا من مطالب العقل ومطالب الروح الانساني، وما جعلها ممكنة واقعيًا. [1]

إن هذا الواقع الذي انعدم فيه تكافؤ الفرص، على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والذي ذكرناه ما بين الحربين الأولى والثانية، هو الذي دفع بعالِم الاجتماع الفرنسي " **بيير بورديو**" إلى الخوض في مجال الرأسمال وأنواعه وعلاقته بإعادة الانتاج، والتي رأى فيها أن الطبقات تعيد إنتاج ذاتها، مما يعمّق من التفاوت الاجتماعي ومن آثاره على الفرد والمجتمع. وهذا أمر عايشه ذلك العالم ولم ير أن هناك ما يناقض رؤيته، خاصة وأن الواقع الذي وجد فيه أثبت له ذلك، مبتعدًا عن أمور أخرى لم يأخذها بعين الاعتبار، كالتعليم الذي يعتبر عاملًا أساسيًّا في تحريك المجتمعات وإحداث تغيرات مهمة على الصُعد الحياتية المعاشة. وهذا ما سنتوقف معه في المحور الآتي.

المحور الثاني: التعليم والحراك الاجتماعي

يُعرف الحراك الاجتماعي بأنه العملية التي ينتقل بها الأفراد من موقع إلى آخر في المجتمع, وغالبًا ما تكون المواقع التي ينتقل إليها الأفراد متدرّجة عبر قيم تدريجية محدّدة، ويكون الحراك الاجتماعي هو الحركة على هذا السلم المتدرّج من موقع إلى آخر صعودًا أو هبوطًا. وإن كانت تدخل قضية الفرص المتاحة أمام الشخص في تعريف الحراك الاجتماعي. فالحراك الاجتماعي ليس مجرد حركة للفرد، ولكنه يشير إلى الفرص المفتوحة أمام الفرد للدخول في الحركة. فالحراك الاجتماعي هو حركة الأفراد للطبقات المختلفة والجماعات المهنية المختلفة ويفترض الحراك الاجتماعي في نمطه المثالي مجتمعًا مفتوحًا، ذات نظام ديمقراطي، فهو يسهل عملية الحراك لأنه يرتكز على المرونة، أي إن المراكز تُكتسب والطبقات مفتوحة والقوانين تُعدّل تِبعًا لمصلحة الفرد ومن ناحية ثانية الاصطفاء العادل من خلال مباريات تعتمد على اختيار الأجدر والأكفأ، ولكن الارتكاز الأهم في عملية الحراك تكون على تكافؤ الفرص الدراسية (المساواة) من خلال إلزامية التعليم ومجّانيّته ورفع مستوى التعليم.

.....

(1)https \ alawan. Bnt. Nat. tn, 2013 \12 \8.

لذلك نجد أن التعليم هو أول وأهم الوسائل التي تتيح للأفراد حركة مستمرة إلى أعلى. فقد أكدت بحوث علم الاجتماع على أن التعليم هو حجر الزاوية في الحراك الاجتماعي، واتجهت بحوث التعليم في علاقته بالحراك الاجتماعي، فقد أكدت أبحاث الكثيرين على وجود ارتباطات قوية بين التحصيل الدراسي وارتفاع الدخل، كذلك أولوية الارتباط بين التعليم وبين الانتماء الطبقي. ويقوم افتراض العلاقة بين التعليم والحراك الاجتماعي على الاعتقاد بأن التعليم له قيمة في حدّ ذاته، وبصرف النظر عما يترتب عليه من نجاحات. فالتعليم له قيمة رمزية، وهي تختلف عن القيمة الوظيفية للتعليم المرتبطة بالمهن التي ينتجها أو صور الحراك التي يخلِّفها. فالتعليم في ضوء ذلك، يبقى وسيلة لا غنى عنها لأولئك الذين يسعون إلى مزيد من الصعود إلى أعلى.

وتعتبر المهنة أحد الوسائط الأساسية في علاقة التعليم بالحراك الاجتماعي، فالمهنة التي يتيحها التعليم هي التي تحدد مصير الحركة الاجتماعية، وهي التي تعكس تعليمه وقيمه ومسيرة حياته وارتباطاته بالآخرين في الماضي، كما أنها تعكس نمط علاقاته الحاضرة، وتؤشر على دخله وعلى نمط عمله وعلى مدى الأمن والاستقرار، الذي يتمتع به في العمل، ومدى الفرص المفتوحة أمامه لتجميع ثروته ونمط حياته الحالي والمستقبلي، ومدى ما يضفي عليه من شرف أو هيبة أو قوة. إن التعليم هو الذي أنتج المهنة، ولكن المهنة هي التي تحدد كل هذه الأبعاد الدالة على الحراك الاجتماعي للفرد. ويدل ذلك على أن العلاقة بين التعليم والحراك الاجتماعي قد لا تنتج حراكًا، إلا إذا ارتبط التعليم بمهنة تنتج عملًا وعلاقات وأسلوب حياة وصورًا من القوة والهيبة. فالمهنة هي التي تمنح الفرد امتيازه. ومن ثم فإن خريطة المهن هي التي تعكس خريطة المجتمع الطبقية، وإن رموز المهن وما يحيط بها من ألقاب وامتيازات هي الدالة في النهاية على الوضع الحقيقي للفرد.

وكي يتمكن التعليم من أداء دوره في عملية الحراك الاجتماعي، يتطلب إتاحة الفرص التعليمية المتكافئة أمام الجميع، لتحقيق طموحاتهم حسب قدراتهم وإمكاناتهم، بصرف النظر عن وضعهم المادي، والعمل على أن يتم التوافق بين مخرجات التعليم من ناحية والمجتمع وما يوفره من ناحية أخرى، على أن تتاح بدائل تعليمية أمام جميع الأفراد، حتى يكون التعليم الأداة الأساسية للحراك الاجتماعي أمام الأفراد. فالتعليم هو المطلب الأساسي والضروري الذي يحقق الحراك من ناحية والتنمية المستدامة من ناحية أخرى.

ورغم الدور الذي تلعبة الأسرة في بناء معارف الفرد وقدراته، ورغم ما يلعبه المستوى الثقافي

للأسرة في تربية وتنشئة الجيل، إلا أن ما نريد تسليط الضوء عليه هو ذلك الدور المهم الذي يقدمه التعليم للأفراد، ذلك الفعل الذي تسعى كثير من الدول إلى فرض إلزاميته، وذلك إيمانًا منها أنه هو الذي يغير بالمجتمع، وذلك طبعًا مع جعل التعليم ذا خاصية شعبية يستفيد منه الجميع من دون استثناء، فتصبح المدرسة مفتوحة للفقراء والأغنياء بطريقة عادلة ومتساوية، تتكافأ فيها الفرص فأيًا يكن المستوى العلمي والثقافي للأهل، يكن في المقابل للمدرسة ولبناء شخصية الفرد ورأسماله الفكري الدور الأكبر.

وانطلاقًا من ذلك سنؤكد هذه الأفكار ميدانيًا، من خلال تسليط الضوء على الحراك الذي أحدثته منطقة القلمون، من خلال تعلّم أبنائها وتعليمهم، وذلك في المحور الثالث.

المحور الثالث: بلدة القلمون (موقعها وصور من الماضي والحاضر)

تقع بلدة القلمون على شاطئ البحر المتوسط، للجهة الغربية الجنوبية من طرابلس، أسفل جبل. يرى البعض أن اسمها اشتق من تركيبة لغوية فرنسية " cale mont"، أي أسفل الجبل والبعض يرى، كالمربي الأستاذ فؤاد أفرام البستاني، أنها وفي حقبة قديمة جدًا تعود إلى الرومان وكان فيها بعض الكتبة. لذا يُرد اسم القلمون إلى Kalamus، أي أرباب القلم.

هذه البلدة كانت قرية تعج مزارعها بشجر التوت، وتحولت فيما بعد إلى مزارع من الزيتون والحبوب ما بين قمح وذرة وشعير، ثم تركز اهتمام أهلها أيضًا على الليمون الحامض وشجر يُعرف باسم شجر الزفير (الأبو صفير). وقد انحصرت مهنة غالبية سكانها في تقليم الأشجار والزراعة والحراثة وصيد الأسماك، كما أدخل بعض أبنائها الصناعات البسيطة كتقطير ماء الزهر والورد وبعض المربيات. وفي الخمسينات من القرن الماضي أنشئ في ضواحيها معمل لتكرير الملح ومعصرة للزيتون لاستخراج أفضل الزيوت.[1]

وعلى الصعيد التاريخي يقول بعض المؤرخين أن القلمون كانت حتى عهد الحروب الصليبية

مسيحية، ولها مركز حربي بالنسبة لطرابلس، إذ كانت الحامية الصليبية تعبر منها برًا إلى ضواحي طرابلس، مما جعل السلطان المسلم العثماني آنذاك يفكر بالاستيلاء عليها، وتحويلها إلى مركز

.....

(1)**الشيخ عبد الغني النابلسي** (بتصرف). مخطوطة التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية.

حربي إسلامي يحمي الضواحي ويرد الغارات. وبعد تحريرها من الصليبين، وبعد استشهاد العشرات أصبح لها مكانة عند الكثير من الأولياء والصالحين. ومما يؤكد على مكانتها عند أولي العلم سابقًا اهتمامهم بتدعيم إسلامهم، حيث خُصصت إحدى المدارس في دمشق والتي كان طلابها يعملون بعد تخرجهم على نشر التعاليم الإسلامية، فخصصت أحد طلابها وهو **الشيخ علي منى الله البغدادي**، فاستوطنها داعيًا إلى الله ومعلمًا، وهو الجد الأول لأسرة المشايخ وهو جد العلامة الإمام" **السيد محمد رشيد رضا الحسيني**" صاحب مجلة المنار. [1] وذلك في أواخر القرن السابع عشر ميلادي.

وبناءً على ما تقدم، وإضافة إلى دخول الكثير من الجندية مع الدولة العلية العثمانية وخوضهم الحرب ضد روسيا القيصرية، واستشهادهم في شوارع العاصمة روسيا. دفع بالدولة العثمانية إلى إصدار فرمانها الملكي، أي المرسوم بإطلاق اسم " سيدة القرى والمزارع" على القلمون وأن يذيّل توقيع القلموني، إذا دُعي للشهادة، بهذه الجملة " شهادة سيد شريف قلموني" إكرامًا لأهلها ولأسرة المشايخ، والتي يعود نسبهم فيها إلى الأمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما.

ومع تبدّل الأحوال بدأت انطلاقة النهضة العلمية في بداية الخمسينات. فبعد أن كانت المدرسة عبارة عن غرفة تضم بنين وبنات، لا يزيد عددهم عن الثلاثين، أصبح فيها مدرسة تكميلية للبنات منذ 1953، ومدرسة للصبيان تكميلية منذ 1950، وصار فيها ما يقارب الألف طالب وطالبة. وكان الإقبال على العلم ملفتًا للنظر، حيث يُرى الأب عاملًا مكافحًا مضحيًا في سبيل تعليم بنيه وبناته. ومع استمرار هذه الرغبة القوية انطلق التعليم الثانوي 1973 ، ليصل اليوم إلى

بلدة يكاد الجهل ينعدم فيها كذلك الأمية.

وهكذا هجر القلموني زراعة الحبوب وحراثة الأرض في سبيل تعليم بنيه وبناته. ليحلّ محلها حراثة العقول وزرعها بالعلوم. وتحوّلت المهن، التي سبق وذكرناها في هذه البلدة، تحوّلًا كليًّا إلى الطب والهندسة والتعليم والوظائف الإدارية وغيرها من الاختصاصات، وتوسّعها إن كان على

.....

(1) **د. أنيس الأبيض**. رشيد رضا تاريخ وسيرة. جروس برس، ط1 ، 1993

صعيد الوطن أم في خارجه.[1]

وبعد هذا العرض التاريخي والحالي لمنطقة القلمون، ومن أجل ربط هذه المعلومات بموضوع الرأسمال الثقافي والتفاوت الاجتماعي والحراك الاجتماعي، تم إجراء مقابلات وتعبئة استمارات مع معلمين ومعلمات من أبناء البلدة، وهم الرعيل الأول في التعليم، وهم أكثر مَن كافح وتحدى الصعاب من أجل الوصول إلى أهداف غيّرت وجه المنطقة الريفي، إلى وجه أكثر مدنية وحداثة منطقة تُعدّ من أكثر البلدات احتواءً على متعلمين ومتعلمات مقارنة مع المناطق المشابهه لها.

المحور الرابع: الدراسة الميدانية ونتائجها

اعتمدت هذه الدراسة على استمارة حوت ستة وثلاثين سؤالًا، تنوعت ما بين أسئلة شخصية وأسئلة عامة، عكست الواقع المعاش في تلك الفترة الماضية. هذا وقد حاولنا في هذه الدراسة عدم إغفال أي معلم ومعلمة من ذلك الجيل، الذي سيعود بذاكرته لأكثر من سبعين عامًا.

وبناءً على الاجابات التي حصلنا عليها، أتت النتائج حسب الآتي:

أ_ العمر: تراوحت أعمار المجموعة ما بين 75 إلى 90 سنة، وأغلب أفراد العينة كانت في الثمانينات، وهذا يؤكد لنا، وكما ذكرنا، أن الفترة التس تحدثوا عنها تزيد على الستين عامًا، مما يعطيها عمقًا وبعدًا تاريخيًا مهمًا.

ب_ الجنس: تقاربت النسب بين الذكور والإناث، فأتت نسبة الذكور 40% والإناث 60%، وهذا يؤكد أن الاهتمام بالتعليم تجاوز الجنس، فلم يقف عثرة في إكمال التعليم، وذلك أمر مهم يشير إلى قناعة وإيمان الأهالي بأهمية التعليم، الذي أحدث تغيرًا كان الأهالي يتطلّعون إليه رغم ضعف رأسمالهم الثقافي.

ج _ مستوى الأهل الثقافي: أثبتت الاجابات أن نسبة مستوى الأهل التعليمي كان بغالبيته (أميّ) 90 % للآباء و 95 % للأمهات، أي انعدام لأي رأسمال ثقافي لدى أهلهم، فقط هدف محدد

.....

(1) من مقابلة تم إجراؤها(2000) مع شيخ البلدة المرحوم الشيخ عبد الرحيم المحمد مختار البلدة السابق ورئيس بلديتها.

وقناعة تامة بتعليم أبنائهم واندفاعهم نحو مهن مختلفة تمامًا عما كانوا يقومون به، من صيد للأسماك وعمل في الزراعة والأرض.

د_ مستوى التعليم عند المعلمين والمعلمات: الملفت بهذا الخصوص أنه ورغم هذه الفترة، فإن أغلب المعلمين والمعلمات لم يكتفوا بالشهادة الثانوية، بل سعى أكثرهم إلى الاختصاصات الجامعية، من لغة وعلوم ورياضيات بنسبة 65 % وهذا يؤكد حماسهم ورغبتهم في التدرّج بحراك صاعد من خلال نيل شهادات أعلى ومراتب وظيفية أعلى.

هـ_ كيفية التعليم ودوافعه: بيّنت الإجابات أن الآباء والأمهات شكلوا الدافع والمشجع وراء تعليم أبنائهم. فالوعي بأهمية التعليم كان قائمًا عندهم، وهو نابع من شعورهم بالمسؤلية تجاه أبنائهم من خلال حثّهم على صعود درجات العلم، علمًا أن أغلب الأهل لم يكونوا قادرين على تدريس أبنائهم شخصيًا. إذ أظهرت النسب أن 90% من الأبناء اعتمدوا على أنفسهم للوصول إلى النجاح، رغم الفقر وصعوبة تأمين احتياجاتهم الضرورية من معيشية ولوازم للتعليم.

فالدافع إلى التعليم عندهم كان الباب الأول لتحسين وضعهم المادي وللحصول على وظيفة مرموقة في المستقبل. فقد وجدنا أن 80% من الإجابات أكدت أن الدافع هو تغير النمط المعاش والترقي، وهذا شكل دافعًا قويًا لمواجهة كل الصعوبات، إن على صعيد المواصلات التي عانى منها 75% منهم، أو على صعيد تأمين المستلزمات الدراسية، من كتب ودفاتر وما شابه وذلك بنسبة 65%. ورغم كل هذه المشقات إلا أنهم وبشكل عام قدّموا مثالًا جميلًا لتلك الأيام، وبنسبة مرتفعة بلغت 85% حتى أنهم تمنوا لو يعود بهم الزمن إلى الوراء رغم كل ما قاسوه من تعب وعناء، لكن وصولهم إلى أهدافهم ملأهم غبطةً.

من هنا واعتمادًا على ما تقدم، نستنتج أن هذه المجموعة من المعلمين والمعلمات الذين تركوا بصمات لا تُنسى في أذهان أبناء البلدة، كانت لهم صور كثيرة في أذهانهم عن زمن مرّ ولن يعود زمن بنوا فيه أنفسهم وجاهدوا للوصول إلى تكوين شخصياتهم، اعتمادًا على قدراتهم الشخصية ورأسمالهم الفكري وقدراتهم التي أوجدوها هم، والتي بنوا فيها بأنفسهم رأسمال ثقافي ليس موروثا بل مبنيًا على إصرار وتحدٍ ورغبة في التغير والحراك نحو الأفضل.

خلاصة:

بناءً على ما تقدم، نستنتج أنه وبالرغم من أننا لا نستطيع أن ننكر دور الأهل وأثرهم التربوي في أولادهم وتنشئتهم لهم اجتماعيًا وأخلاقيًا، إلا أن التسليم التام بأن كل فرد منا هو صورة عن أهله، هو أمر مرفوض. لذا انطلقت هذه الأوراق البحثية لتشير إلى أن التأثير الأسري الثقافي والرأسمال الثقافي ليس واقعًا شاملًا لكل الأسر، وهذا ما ناقشناه في هذه الأوراق، تبعًا لما أورده المفكر الفرنسي " **بيير بورديو**" وعن ربطه المطلق لهذا الرأسمال، بالتفاوت الاجتماعي وباعاقة الحراك الاجتماعي في كل المجتمعات.

لذا ومن أجل إثبات ما يخالف رؤية " **بورديو**" بموضوع الرأسمال الثقافي، تمّ تقديم هذه الأوراق التي عرضت وبشكل سريع صورة لبلدة القلمون (لبنان الشمالي) ونتائج الاستبيان الذي أُجري مع المعلمين والمعلمات الأوائل، والتي أظهرت أن عدم وجود الرأسمال الثقافي عند الأهل لم يقف بوجه تعلّمهم، حيث وجدنا أن هذه البلدة أحدثت حراكًا اجتماعيًا صاعدًا وواضحًا، مما يسمح لنا بعدم التسليم برؤية " **بيير بورديو**" عن الرأسمال الثقافي، وذلك تبعًا للنتائج الجلية للاستمارة، التي تم تحضيرها والعمل عليها في هذه الأوراق البحثية.

إذًا وانطلاقًا من أهمية الثقافة والعلم في تحقيق الحراك، نجد أن الانتاجية الحقّة تعتمد على الرأسمال البشري الفكري، الذي يبني ويوجّه ويحدّد مسارات الأفراد والمجتمعات، وهو المحرك الأساسي لها وليس فقط الرأسمال الثقافي المتوارث من الأهل.

المصادر والمراجع

1_ **عبد الوهاب، أشرف.** المنظومة، مصر، المجلد 20 ، العدد 217 ص(137_122).

2_ **عبدالله عبد الرحمن يتيم**. ربيع 2011. بيير بورديو، النتروبولوجيا، مجلة إضافات، العدد 11.

3_ **عبد الغني اليعقوبي**(بتصرف). أغسطس 2011 . التفاوت الاجتماعي والتفاوت الطبقي، موقع واي باي مسين.

4_ موقع مؤرشف من الأصل(4/5 / 2020) vocab.getty. educ.

5_ **Esther hesui**, ch parental invohement and student performance op. cit.p 63.

6_ **George Riter**, Encyclopedia of social theory. Nol 1, saye publication, London,2005,p75.

7_ **Michel lamont**, Ament lareau, culturel capital, Allusion cap and Glissandos in Recent the outicol Development ap. Cit. p155.

8_ **Pierre Bordieu**, the forms of capital, op,cit, pp(244-248).

9_ op. euro,https\ Library fivable, me.

10_ https\ alawan.bnt. nat.tn,2013\12\8 .

ملحق:

استمارة موجّهة إلى أساتذة وأستاذات من الرعيل الأول في بلدة القلمون، الذين حملوا مشعل العلم والمعرفة، وذلك بهدف إجراء دراسة عن دورهم الهادف في خدمة العلم والمتعلمين. نرجو التعاون مع الشكر الجزيل.

1- العمر..... 2- الجنس: ذكر..... أنثى.....

3- الوضع العائلي: أعزب..... متزوج..... أرمل..... مطلق.....

4- عدد أفراد الأسرة: الإخوة الذكور..... الإخوة الإناث.....

5- مستوى أهلك التعليمي:

	أميّ	إبتدائي	متوسط	غيره حدد
الأب				
الأم				

6- ما المهنة التي كان يعمل بها: والدك..... والدتك.....

7- المستوى التعليمي الذي حصلت عليه: متوسط..... ثانوي..... جامعي.....

8- ما هو اختصاصك: .....

9- أين تلقيت تعليمك (اسم المدرسة أو الثانوية):

	داخل البلدة	خارج البلدة
الابتدائي		
المتوسط		
الثانوي		

10- نوع المدرسة: خاص..... رسمي.....

11- من الذي شجعك على التعلم: أمك..... أبوك..... لا أحد..... غيره حدد.....

12- هل كان أهلك يفضلون تعليم الذكور على الإناث..... لا فرق لديهم.....

13- من كان يساعدك في الدراسة: أمك..... أبوك..... لا أحد..... غيره حدد .....

14- أين كنت تدرس بعد عودتك من المدرسة: في المنزل..... على سكة الحديد.....

على الطريق..... غيره حدد.....

15- هل كنت تدرس: بمفردك..... بمساعدة أستاذ..... مع رفاقك.....

16- كم من الوقت كنت تقضي بالدرس في المنزل.....

17- ما الذي دفعك إلى متابعة الدراسة: تحسين وضعك المادي..... الرغبة في العلم

والمعرفة.....الحصول على وظيفة ومركز اجتماعي..... غيره حدد.....

18- هل كنت تعمل أثناء دراستك: لا..... نعم..... ما هو نوع الوظيفة.....

19- أساتذتك القدامى هل هم: ذكور..... إناث..... الإثنان معًا.....

ومن اين كانوا أساتذتك: من القلمون..... من خارج القلمون..... الإثنان معًا.....

20_ البناء المدرسي الذي كنت تتعلم فيه كان يتألف من: عدد الغرف..... عدد الطبقات....

ألواح..... طاولات خشبية.....ملاعب..... مقصف مدرسي.....غيره حدد.....

21_ ما هو أكبر عدد من الطلاب مرّ عليك في تعليمك وفي أية مرحلة.....

22_ كم كان عدد الطلاب التقريبي في صفك أثناء: المرحلة الإبتدائية..... المتوسطة.....

الثانوية..... الجامعية.....

23_ هل كان أغلب زملائك في الصف: ذكورًا..... إناثًا.....

24_ هل كنت تضع كتبك: في كيس..... في شنطة.....غيره حدد.....

25_ هل كنت تعاني من صعوبة في تأمين: الدفاتر..... الكتب..... القرطاسية.....

26_ هل كان شراؤها مشكلة بالنسبة إلى أهلك: نعم..... كلا.....

27_ هل كنت تستخدم الكتب القديمة: نعم..... كلا.....

28_ هل عانيت من صعوبة في المواصلات: نعم..... كلا.....

29_ كم حصة كنت تتعلم يوميّا: خمس..... ست..... سبع.....

30_ كيف كان دوامكم المدرسي(تحديد الوقت إذا أمكن)

.....

31_ هل من مواد كنت تتعلمها، ولم تعد موجودة اليوم(يرجى ذكر المواد الملغاة إن وجدت)

كلا..... نعم..... حدد.....

32_ ما هي أدوات اللهو التي كنت تستخدمها؟

.....

33_ اذكر أصعب ثلاث مشكلات مرت عليك أثناء تعلّمك:

.....

.....

.....

34_ هل أثر فيك أحد أساتذتك (يرجى الشرح)

	نعم	كلا
إيجابيًا		
سلبيًا		

.....

.....

.....

.....

35_ إذا أردت اختصار تلك الفترة بكلمة، ماذا تقول عنها؟

جميلة..... متعبة..... يا ليتها تعاد..... لا أحبها..... غيره حدد.....

36_ هل من رسالة تود توجيهها إلى أساتذة وطلاب اليوم؟

.....

.....

.....

.....